يــوم فــرت بــنــو تــمــيــم وولــت خــيــلــهــم يــتــقــيــن[1] بــالأذنــاب/ (١) ج١ ط/٣٣٣

وهي طويلة، ثم إن تغلب أخرجوا سلمة من بينهم، فلجأ إلى بكر بن وائل وانضم إليهم، ولحقت تغلب بالمنذر بن امرىء القيس اللخمي.

الكلاب: بضم الكاف، **أُسيد**: بن عمرو: بضم الهمزة، وفتح السين المهملة، وتشديد الياء المثناة من تحت، **وذو السنينة**: بضم السين المهملة، تصغير سن، **والرباب**: [2]بكسر الراء[2]، وتخفيف الباء الأولى [الموحدة].

يوم أوارة الأول

وهو يوم كان بين المنذر [بن] امرىء القيس وبين بكر بن وائل، وكان سببه: أن تغلب لما أخرجت سلمة بن الحارث عنها[3] التجأ إلى بكر بن وائل، كما ذكرناه آنفاً، فلما صار عند بكر أذعنت له وشحدت عليه، وقالوا: لا يملكنا[4] غيرك، فبعث إليهم المنذر يدعوهم إلى طاعته، فأبوا ذلك، فحلف المنذر ليسيرن إليهم فإن ظفر بهم فليذبحنهم على قلة جبل أوارة، حتى يبلغ الدم الحضيض، وسار إليهم في جموعه، فالتقوا بأوارة فاقتتلوا قتالاً شديداً، وأجلت الواقعة عن هزيمة بكر، وأسر يزيد بن شرحبيل الكندي، فأمر المنذر بقتله، فقتل؛ وقتل في المعركة بشرٌ كثير، وأسر المنذر من بكر أسرى كثيرةٍ، فأمر بهم فذبحوا على جبل أوارة، فجعل الدم يجمد. فقيل له: أبيت اللعن، لو ذبحت كل بكري على وجه الأرض لم تبلغ دماؤهم الحضيض! ولكن [لو] صببت عليه الماء! ففعل، فسال الدم إلى الحضيض، وأمر بالنساء أن يحرقن بالنار(٢).

وكان رجل من قيس بن ثعلبة منقطعاً إلى المنذر، فكلمه في سبي بكر بن وائل، فأطلقهن المنذر، فقال الأعشى يفتخر بشفاعة القيسي إلى المنذر في بكر:

ومــنــا الــذي أعــطــاه بــالــجــمــع ربــه عــلــى فــاقــةٍ ولــلــمــلــوك هــبــاتــهــا
ســبــايــا بــنــي شــيــبــان يــوم أوارةٍ عــلــى الــنــار إذ تــجــلــى بــه فــتــيــاتــهــا(٣)/ ج١ ط/٣٣٤

(١) ذكره اليعقوبي في «تاريخه» (١/ ٢١٧).
(٢) ذكره الأصفهاني في «الأغاني» (٢٢/ ١٨٧)، .
(٣) أنظر «المفصل في تاريخ العرب»(٣/ ٢٢٧)، و «أيام العرب» (٩٩).

(1) في المخطوطة: منسوب.
(2-2) في المخطوطة: بالكسر.
(3) في المخطوطة: و.
(4) في المخطوطة: يهلكنا.

يوم أوارة الثاني

كان عمرو بن المنذر اللخمي قد ترك ابناً له اسمه: أسعد عند زرارة بن عدس التميمي، فلما ترعرع مرت به ناقةٌ سمينة فبعث بها فرمى ضرعها، فشد عليه ربها سويدٌ أحد بني عبد الله بن دارم التميمي فقتله، وهرب فلحق[1] بمكة فحالف قريشاً[١].

وكان عمرو بن المنذر غزا قبل ذلك ومعه زرارة فأخفق، فلما كان حيال جبلي طيء قال له زرارة: أي[2] ملكٍ إذا غزا لم يرجع ولم يصب، فمل على طيء فإنك بحيالها، فمال إليهم فأسر وقتل وغنم، فكانت في صدور طيء على زرارة، فلما قتل سويد أسعد، وزرارة يومئذٍ عند عمرو، [فقال له عمرو] بن ملقط الطائي يحرض عمراً على زرارة:

من مبلغٌ عمراً بأن[3] الـمرء لم يخلق صباره
ها إن عجزة أمه بالسفح أسفل من أواره[4]
فاقتل زرارة لا أرى في القوم أوفى من زرراه[٢]

فقال عمرو: يا زرارة، ما تقول؟ قال: كذب، قد علمت عداوتهم فيك[5]، قال: صدقت. فلما جن الليل سار زرارة مجداً إلى قومه، ولم يلبث أن مرض. فلما حضرته الوفاة قال لابنه: يا حاجب [ضم] إليك غلمتي في بني نهشل، وقال [6]لابن أخيه[6] عمرو بن عمرو: عليك بعمرو بن ملقط، فإنه حرض عليّ الملك، فقال له: يا عماه، لقد أسندت[7] إلي أبعدهما شقة وأشدهما شوكة[٣].

فلما مات زرارة تهيأ عمرو [بن عمرو] في جمع، وغزا طيئاً، فأصاب الطريفين؛ طريف بن مالك، وطريف بن عمرو، وقتل الملاقط، فقال علقمة بن عبدة في ذلك:

ونحن جلبنا من ضرية خيلنا نجنبها حد الإكام قطاقطا
أصبنا الطريف والطريف بن مالك وكان شفاء الواصبين/ الملاقطا ج١ ٨٠/ب

(١) ذكره اليعقوبي في «تاريخه» (١/ ٢٢٩)، وذكره ابن حزم في «جمهرة أنساب العرب» (٢٣٢)، وذكره الأصفهاني في «الأغاني» (٢٢/ ١٩٠).
(٢) ذكره الأصفهاني في «الأغاني» (٢٢/ ١٩١).
(٣) انظر «أيام العرب» (١٠٣).

(1) في المخطوطة: ولحق.
(2) في المخطوطة: أن.
(3) في المخطوطة: فإن.
(4) في المخطوطة: زرارة.
(5) في المخطوطة: لي فيك.
(6-6) في المخطوطة: لأخيه.
(7-7) في المخطوطة: اشتدت.

فلما بلغ عمرو بن المنذر وفاة زرارة غزا بني دارم، وقد كان حلف ليقتلن منهم مائة، فسار يطلبهم حتى بلغ أوارة، وقد أنذروا به فتفرقوا. فأقام مكانه؛ وبث سراياه فيهم، فأتوه بتسعة وتسعين رجلاً، سوى من قتلوه[1] في غاراتهم فقتلهم، فجاء رجل من البراجم شاعر ليمدحه، فأخذه ليقتله ليتم مائة، ثم قال: إن الشقي وافد البراجم!، فذهبت مثلاً، وقيل: إنه نذر أن يحرقهم، فلذلك سمي: [محرقاً]، فأحرق منهم تسعة وتسعين رجلاً، واجتاز رجل من البراجم فشم قتار[2] اللحم، فظن أن الملك يتخذ طعاماً فقصده، فقال: من أنت؟ فقال: أبيت اللعن، أنا وافد البراجم؛ قال: [إن] الشقي وافد البراجم، ثم أمر به فقذف في النار،/ فقال جرير للفرزدق: ج١ ط/٣٣٥

أين الذين بنار عمرٍو أحرقوا ... أم أين (3أسعد فيكم3) المسترضع[١]

وصارت تميم بعد ذلك يعيرون بحب الأكل، لطمع البرجمي في الأكل، فقال بعضهم:

إذا ما مات ميتٌ من تميم[4] ... فسرك أن يعيش فجيء بزاد

بخبزٍ أو (5بلحم أو بتمرٍ5) ... أو الشيء الملفف في البجاد

تراه ينقب البطحاء حولاً ... ليأكل رأس لقمان بن عاد

قيل: دخل الأحنف بن قيس على معاوية بن أبي سفيان فقال [له] معاوية: ما الشيء الملفف في البجاد يا أبا بحر؟ قال: السخينة يا أمير المؤمنين[٢].

والسخينة: طعام تعير به قريش، كما كانت تعير تميم بالملفف في البجاد.

قال: فلم ير متمازحان أوقر منهما.

[ذكر] قتل زهير بن جذيمة وخالد بن جعفر بن كلاب والحارث بن ظالم المري وذكر يوم الرحرحان[٣]

كان زهير بن جذيمة بن رواحة بن ربيعة بن مازن بن الحارث بن قطيعة بن عبس العبسي، وهو والد (6قيس بن زهير6) صاحب حرب داحس والغبراء، سيد قيس عيلان،

(١) ذكره الثعالبي في «ثمار القلوب» (١٠٨).
(٢) ذكره الزبيدي في «تاج العروس» (٩/ ٢٣٢).
(٣) الرحرحان: اسم جبل خلف عرفات.

(1) في المخطوطة: قتلوا.
(2) في المخطوطة: قتال.
(3-3) في المخطوطة: فيكم الأسعد.
(4) في المخطوطة: بني تميم.
(5-5) في المخطوطة: تيمر أو بلحم.
(6-6) في المخطوطة: زهير بن قيس.

فتزوج إليه ملك الحيرة، وهو النعمان بن امرىء القيس جد النعمان بن المنذر لشرفه وسؤدده، فأرسل النعمان إلى زهير يستزيره بعض أولاده، فأرسل ابنه[1] شأساً، وكان أصغر ولده، فأكرمه وحباه، فلما انصرف إلي أبيه كساه حللاً وأعطاه مالاً طيباً، فخرج شأس يريد قومه، فبلغ ماءً من مياه غني بن أعصر، فقتله رباح بن الأشل الغنوي، وأخذ ما كان معه، وهو لا يعرفه.

وقيل لزهير: إن[2] شأساً أقبل من عند الملك، وكان آخر العهد به بماء من مياه غني، فسار زهير إلى ديار غني، وهم حلفاء في بني عامر بن صعصعة، فاجتمعوا عنده، فسألهم عن ابنه، فحلفوا أنهم لم يعلموا خبره، قال: لكني أعلمه، فقال[3] له أبو عامر: فما الذي يرضيك منا؟ قال: واحدة[4] من ثلاث: إما تحيون ولدي، وإما[5] تسلمون إليّ غنياً حتى أقتلهم بولدي، وإما الحرب بيننا وبينكم ما بقينا وبقيتم، فقالوا: ما جعلت لنا في هذه مخرجاً، أما إحياء ولدك فلا يقدر عليه إلا الله، وأما تسليم غني إليك فهم يمتنعون مما يمتنع منه الأحرار، وأما الحرب بيننا فوالله إننا لنحب رضاك ونكره سخطك، ولكن إن شئت الدية[6]، وإن شئت تطلب قاتل ابنك فنسلمه إليك أو تهب دمه، فإنه [لا] يضيع في القرابة والجوار، فقال: ما[7] أفعل/ إلا ما ذكرت. فلما رأى خالد بن جعفر بن كلاب تعدي زهير على أخواله من غنيّ، قال: والله ما رأينا[8] كاليوم تعدي رجل [على] قومه، فقال له زهير: فهل لك أن تكون طلبتي عندك وأترك غنياً؟ قال: نعم، فانصرف زهير وهو يقول: ج١ / ٣٣٦/ط

فلولا كلاب قد أخذت قرينتي ... بردّ غني أعبداً ومواليا
ولكن حمتهم عصبة عامرية ... يهزون في الأرض القصار العواليا
مساعير[١] في الهيجا مصاليت[٢] في الوغى[٣] ... أخوهم عزيز لا يخاف الأعاديا
يقيمون في دار الحفاظ تكرماً ... إذا ما فنيّ القوم أضحت خواليا

ثم إنه أرسل امرأة وأمرها أن تكتم نسبها، وأعطاها لحم جزور سمينة، وسيرّها إلى غني لتبيع اللحم بطيب، وتسأل عن حال ولده، فانطلقت المرأة إلى غني وفعلت ما أمرها، فانتهت إلى امرأة رباح بن الأشل، وقالت لها: قد زوجت بنتاً لي وأبغي الطيب

(١) المساعير: موقد النار.
(٢) المصاليت: الماضون.
(٣) الوغى: الحرب.

(1) في المخطوطة: بعض.
(2) في المخطوطة: هو أن.
(3) في المخطوطة: قال.
(4) في المخطوطة: واحد.
(5) في المخطوطة: إما أن.
(6) في المخطوطة: إليه.
(7) في المخطوطة: لا.
(8) في المخطوطة: رأينا رجلاً.

بهذا اللحم، فأعطتها طيباً وحدثتها بقتل زوجها شأساً. فعادت المرأة إلى زهير، وأخبرته، فجمع خيله، وجعل يغير على غَني، حتى قتل منهم مقتلة عظيمة، ووقعت[1] الحرب بين بني عبس وبني عامر، وعظم الشر.

ثم إنّ زهيراً خرج في بنيته وأهل بيته في الشهر الحرام إلى عكاظ، فالتقى هو وخالد بن جعفر بن كلاب، فقال له خالد: لقد طال شرّنا منك يا زهير! فقال زهير: أما والله ما دامت لي قوة أدرك بها ثأراً فلا انصرام له، وكانت هوازن تؤتي زهير بن جذيمة الإتاوة كل سنة بعكاظ، وهو يسومها الخسف، وفي أنفسها منه غيظٌ وحقدٌ، ثم عاد خالد وزهير إلى قومهما، فسبق خالد إلى بلاد هوازن، فجمع إليه قومه وندبهم إلى قتال زهير، فأجابوه وتأهبوا للحرب، وخرجوا يريدون/ زهيراً وهم على طريقه، وسار زهير حتى نزل ج١ ٨١/أ على أطراف بلاد هوازن، فقال له ابنه قيس: انج بنا من هذه الأرض فإنا قريب من عدو، فقال له: يا عاجز وما الذي تخوفني به من هوازن وتتقي شرها؟ فأنا أعلم الناس بها؛ فقال ابنه: دع [عنك] اللجاج وأطعني و[سر بنا، فإني] خائف عاديتهم، وكانت تماضر بنت الشريد بن رباح بن يقظة بن عصية السلمية أم ولد زهير، وقد أصاب بعض إخوتها دماً فلحق ببني عامر، وكان فيهم، فأرسله خالد عيناً ليأتيه بخبر زهير، فخرج حتى أتاهم في منزلهم، فعلم قيس بن زهير حاله، وأراد هو وأبوه أن يوثقوه/ ويأخذوه معهم إلى أن ج١ ٣٣٧/ط يخرجوا من أرض هوازن، فمنعت أخته، فأخذوا عليه العهود أن لايخبر بهم وأطلقوه، فسار إلى خالد، ووقف إلى شجرة يخبرها الخبر، فركب خالد ومن معه إلى زهير، وهو غير بعيد منهم، فاقتتلوا قتالاً شديداً، والتقى خالد وزهير فاقتتلا طويلاً، ثم تعانقا فسقطا على الأرض، وشد ورقاء بن زهير على خالد، وضربه بسيفه فلم يصنع شيئاً؛ لأنه قد ظاهر بين درعين، وحمل جندح بن البكاء، وهو ابن امرأة خالد، على زهير فقتله، وهو وخالد يعتركان، فثار خالد عنه، وعادت هوازن إلى منازلها، وحمل بنو زهير أباهم إلى بلادهم، فقال ورقاء بن زهير في ذلك:

رأيت زهيراً تحت كلكل[1] خالد ... فأقبلت أسعى كالعجول أبادر
إلى بطلين يعتران كلاهما ... يريد رياش السيف والسيف نادر
فشلت يميني يوم أضرب خالداً ... ويمنعه مني الحديد المظاهر
فيا ليت أني قبل أيام خالد ... وقبل زهير لم تلدني تماضر

(١) الكلكل: الصدر.

(1) في المخطوطة: إلى عكاظ فالتقى إلى.

لعمري لقد بشرت بي إذ ولدتني فماذا الذي ردت عليك البشائر
فلا يدعني قومي صريحاً بحرةٍ لأن كنت مقتولاً ويسلم عامر
فطر خالد إن كنت تستطيع طيرةً ولا تقعا[1] إلا وقلبك حاذر
أتتك المنايا إن بقيت بضربة تفارق منها العيش والموت حاضر[1]

وقال خالد يمنّ على هوازن بقتله زهيراً:

أبلغ هوازن كيف تكفر بعدما أعتقتهم فتوالدوا أحراراً
وقتلت ربهم زهيراً بعدما جدع الأنوف وأكثر الأوتارا
وجعلت مهر نسائهم وديانهم عقل الملوك هجائناً وبكارا[2]

وكان زهير سيد غطفان، فعلم خالد أنّ غطفان ستطلبه بسيدها، فسار إلى النعمان بن امرىء القيس بالحيرة، فاستجاره، فأجاره. فضرب له قبةً، وجمع[2] بنو زهير لهوازن، فقال الحارث بن ظالم المري: اكفوني حرب هوازن، فأنا أكفيكم خالد بن جعفر، وسار الحارث حتى قدم على النعمان، فدخل عليه وعنده خالد، وهما يأكلان تمراً، فأقبل النعمان/ يسائله، فحسده خالد، فقال النعمان: أبيت اللعن! هذا رجل لي عنده يد عظيمة، قتلت زهيراً وهو سيد غطفان، فصار هو سيدها، فقال الحارث: سأجزيك على يدك عندي، وجعل الحارث يتناول التمر ليأكله، فيقع من بين أصابعه من الغضب، فقال عروة لأخيه خالد: ما أردت بكلامه وقد عرفته [فتاكاً]؟ فقال خالد: وما يخوفني منه؟ فوالله لو رآني نائماً ما أيقظني، ثم خرج خالد وأخوه إلى قبتهما فشرجاها عليهما، ونام خالد وعروة عند رأسه يحرسه، فلما أظلم الليل انطلق الحارث إلى خالد، فقطع شرج القبة ودخلها وقال لعروة: لئن تكلمت قتلتك!، ثم أيقظ خالداً، فلما استيقظ، قال: أتعرفني؟ قال: أنت الحارث، قال: خذ [3]جزاء يدك[3] عندي[4]؛ وضربه بسيفه المعلوب فقتله، ثم خرج من القبة وركب راحلته وسار، وخرج عروة من القبة يستغيث، [5]وأتى[5] باب النعمان فدخل[6] عليه وأخبره الخبر، فبث الرجال في طلب الحارث، قال الحارث: فلما سرت قليلاً خفت أن أكون لم أقتله،

ج١/٣٣٨/ط

(١) ذكره الأصفهاني في «الأغاني» (١١/ ٨٩)، (١١/ ٩٣)، وذكره ابن عبد ربه في «العقد الفريد» (٥/ ١٣٦، ١٣٧).

(٢) ذكره الأصفهاني في «الأغاني» (١١/ ٩٠)، وذكره ابن عبد ربه في «العقد الفريد» (٥/ ١٣٧)، وذكره النويري في «نهاية الأرب» (١٥/ ٣٤٨).

(1) في المخطوطة: تقعن.
(2) في المخطوطة: خرج.
(3-3) في المخطوطة: جزاك.
(4) في المخطوطة: عني.
(5-5) في المخطوطة: فإني.
(6) في المخطوطة: وادخل.

فعدت متنكراً واختلطت بالناس، ودخلت عليه، فضربته بالسيف، حتى تيقنت أنه مقتول، وعدت فلحقت بقومي، فقال عبد الله بن جعدة الكلابي:

يا حار لو نبهته لوجدته ... لا طائشاً رعشاً ولا معزالاً[1]
شقت عليه الجعفرية جيبها ... جزعاً وما تبكي هناك ضلالا
فانعوا أبا بحر بكل مجرّبٍ ... حران يحسب في القناة هلالا
فليقتلن بخالد سرواتكم ... وليجعلن لظالمٍ تمثالا[2]

فأجابه الحارث:

تاللّه قد نبهته فوجدته ... رخو اليدين مواكلاً عسقالا
فعلوته بالسيف أضرب رأسه ... حتى أضل بسلحه السربالا

فجعل النعمان يطلبه ليقتله بجاره، وهوازن تطلبه لتقتله بسيدها خالد، فلحق بتميم، فاستجار بضمرة بن ضمرة بن جابر بن قطن بن نهشل بن دارم، فأجاره على النعمان وهوازن، فلما علم النعمان ذلك جهز جيشاً إلى بني دارم عليهم بن الحمس/ التغلبي، ج١/٨١/ب وكان يطلب الحارث بدم أبيه؛ لأنه كان قتله.

ثم إنّ الأحوص بن جعفر أخا خالد جمع بني عامر/ وسار بهم، فاجتمعوا هم ج١/٣٣٩/ط وعسكر النعمان على بني دارم، وساروا، فلما صاروا بأدنى مياه بني دارم رأوا امرأةً تجني الكمأة ومعها جمل لها، فأخذها رجلٌ من غني وتركها عنده، فلما كان الليل نام، فقامت إلى جملها فركبته، وسارت حتى صبحت بني دارم، وقصدت سيدهم زرارة بن عدس، فأخبرته الخبر، وقالت: أخذني أمس قوم لا يريدون[1] غيرك ولا أعرفهم، قال: فصفيهم لي، قالت: رأيت رجلاً قد سقط حاجباه، فهو يرفعهما بخرقة، صغير العينين، وعن أمره يصدرون، قال: ذاك الأحوص وهو سيد القوم، قالت: ورأيت رجلاً قليل المنطق، إذا تكلم اجتمع القوم كما تجتمع الإبل لفحلها، أحسن الناس وجهاً، ومعه ابنان [له] يلازمانه. قال: ذاك مالك بن جعفر وابناه عامر وطفيل، قالت: ورأيت رجلاً جسيماً، كأن لحيته محمرةٌ معصفرةٌ، قال: ذاك عوف بن الأحوص، قالت: ورأيت رجلاً هلقاماً جسيماً. قال: ذاك ربيعة بن عبد الله بن أبي بكر بن كلاب، قالت: ورأيت رجلاً أسود أخنس قصيراً[2]. قال: ذاك ربيعة بن قرط بن عبد الله بن أبي بكر، قالت[3]: ورأيت رجلاً أقرن الحاجبين، كثير

(١) المعزال: الراعي المنفرد.
(٢) ذكره ابن عبد ربه في «العقد الفريد» (٥/١٣٨)، وذكره النويري في «نهاية الأرب» (١٥/٣٤٩).

(1) في المخطوطة: يودون.
(2) في المخطوطة: صغيراً.
(3) في المخطوطة: قال.

شعر السبلة، يسيل لعابه على لحيته إذا تكلم، قال: ذاك جندح [بن] البكاء، قالت: ورأيت رجلاً صغير العينين، ضيق الجبهة، يقود فرساً له معه جفيرٌ لا يفارق يده، قال: ذاك ربيعة بن عقيل بن كعب، قالت: ورأيت رجلاً معه ابنان أصبهان، إذا أقبلا رماهما الناس بأبصارهم، فإذا أدبرا، كانا[1] كذلك، قال: ذاك الصعق بن عمرو بن خويلد بن نفيل، وابناه يزيد وزرعة، قالت: ورأيت رجلاً لا يقول كلمة إلا وهي أحد[2] من شفرة، قال: ذاك عبد الله بن جعدة بن كعب[1].

وأمرها زرارة فدخلت بيتها، وأرسل زرارة إلى الرعاء يأمرهم بإحضار الإبل، ففعلوا. وأمرهم فحملوا الأهل والأثقال، وساروا نحو بلاد بغيض، وفرق الرسل في بني مالك بن حنظلة فأتوه، [فأخبرهم الخبر وأمرهم، فوجهوا أثقالهم إلى بلاد بغيض، وباتوا معدين، وأصبح بنو عامر] وأخبرهم الغنوي حال الظعينة وهربها، فسقط في أيديهم واجتمعوا يريدون الرأي، فقال بعضهم: كأني بالظعينة قد أتت قومها فأخبرتهم الخبر، فحذروا وأرسلوا أهليهم وأموالهم إلى بلاد بغيض، وباتوا معدين لكم في السلاح، فاركبوا بنا في طلب نعمهم وأموالهم، فإنهم لا يشعرون حتى نصيب حاجتنا وننصرف. فركبوا يطلبون ظعن بني دارم، فلما أبطأ القوم عن زرارة قال لقومه: إن القوم قد توجهوا إلى ظعنكم وأموالكم فسيروا إليهم. فساروا مجدين فلحقوهم قبل أن يصلوا إلى الظعن والنعم، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فقتلت بنو مالك بن حنظلة ابن الحمس التغلبي رئيسَ جيش/ النعمان، وأسرت بنو عامر معبد بن زرارة، وصبر بنو دارم حتى انتصف النهار، وأقبل قيس بن زهير فيمن معه من ناحية أخرى، فانهزمت بنو عامر وجيش النعمان، وعادوا إلى بلادهم ومعبد أسير مع بني عامر، فبقي معهم حتى مات، وفي تلك الأيام أيضاً مات زرارة بن عدس. ج١/٣٤٠/ط

وقيل في استجارة الحارث ببني تميم غير ذلك، وهو: أنّ النعمان طلب شيئاً يغيظ به الحارث بعد قتل خالد وهربه، فقيل له: كان قصد الحيرة، ونزل على عياض بن وهب التميمي، وهو صديق له، فبعث إليه النعمان فأخذ إبلاً له، فركب الحارث وأتى الحيرة متخفياً، واستنقذ[3] ماله من الرعاة ورده عليه، وطلب شيئاً يغيظ به النعمان، فرأى ابنه غضبان، فضرب رأسه بالسيف فقتله، وبلغ النعمان الخبر فبعث في طلبه فلم يدركه، فقال الحارث في ذلك:

---

(١) ذكره الأصفهاني في «الأغاني» (١١/١٢٦، ١٢٧).

---

(1) في المخطوطة: كان.
(2) في المخطوطة: واحد.
(3) في المخطوطة: انقذ.

أخصي حمار بات يكدم نجمةً أتؤكل جاراتي وجارك سالم؟
فإن تك أذواداً[١] أصبت ونسوةً فهذا ابن سلمى رأسه متفاقم
علوت بذي الحيات[٢] مفرق رأسه ولا يركب المكروه إلا الأكارم
فتكت به كما فتكت بخالدٍ وكان سلاحي تحتويه الجماجم
بدأت بتلك وانثنيت بهذه وثالثة تبيض منها المقادم
حسبت أبا قابوس أنك مخفري ولما تذق ثكلاً وأنفك راغم[٣]

كذا قال بعضهم، وقيل: إنّ المقتول كان شرحبيل بن الأسود بن المنذر، وكان الأسود قد ترك ابنه شرحبيل عند سنان بن أبي حارثة المري ترضعه زوجته، فمن هناك كان لسنان مال كثير، وكان ابنه هرم يعطى منه، فجاء[1] الحارث متخفياً، فاستعار سرج سنان، ولا يعلم سنان، ثم أتى امرأة سنان، فقال: يقول بعلك: ابعثي بشرحبيل بن الملك مع الحارث بن ظالم حتى يستأمن به[2] ويتخفر به، وهذا سرجه علامة. فزينته ودفعته إليه، فأخذه وقتله وهرب، فغزا الأسود بني ذبيان وبني أسد بشط أربل، فقتل/ فيهم قتلاً ذريعاً، وسبى واستأصل الأموال، وأقسم ليقتلن الحارث، فسار الحارث متخفياً إلى الحيرة ليفتك بالأسود، فبينما هو في منزله إذ سمع صارخةً تقول: أنا في جوار الحارث بن ظالم/ ، وعرف حالها، وكان الأسود قد أخذ لها صرمةً من الإبل، فقال لها: انطلقي غداً إلى مكان كذا، وأتاه الحارث. فلما وردت إبل النعمان أخذ مالها فسلمه[3] إليها، وفيها ناقة تسمى: اللقاع، فقال [الحارث] في ذلك:

ج١/٨٢أ

ج١/٣٤١ط

إذا سمعت حنة اللقاع فادعي أبا ليلى فنعم الداعي
يمشي بغضبٍ صارمٍ قطاع يفري به مجامع الصداع

ثم أقبل يطلب مجيراً، فلم يجره أحد من الناس، وقالوا: من يجيرك على هوازن والنعمان وقد قتل ولده؟ فأتى زرارة بن عدس، وضمرة[4] بن ضمرة، فأجاراه على جميع الناس، ثم إنّ عمرو بن الإطنابة الخزرجي لما بلغه قتل خالد بن جعفر، وكان صديقاً له، قال: والله لو وجده يقظان ما أقدم عليه، ولوددت أني لقيته، وبلغ الحارث قوله [5]وقال[5]:

(١) أذوادا: القطيع من الإبل، الثلاث إلى السبع.
(٢) الحيات: اسم سيف الحارث.
(٣) ذكره الأصفهاني في «الأغاني» (١١/ ١٠٣، ١٠٤)، (١١/ ١٠٩)، وذكره ابن الأنباري في «المفضليات» (٦١٦).

(1) في المخطوطة: فجاءت.
(2) في المخطوطة: له.
(3) في المخطوطة: فسلمها.
(4) في المخطوطة: ضمر.
(5-5) في المخطوطة: فقال.

والله لآتينه في رحله، ولا ألقاه إلا ومعه سلاحه، فبلغ ذلك ابن الإطنابة فقال أبياتاً منها:

أبلغ الحارث بن ظالم المو ... عد والناذر النذور عليا
إنما تقتل النيام ولا تق ... تل يقظان ذا سلاح كميا[1]

فبلغ الحارث شعره، فسار إلى المدينة وسأل عن منزل ابن الإطنابة، فلما دنا منه نادى: يا ابن الإطنابة أغثني! فأتاه عمرو فقال: من أنت؟ قال: رجل من بني فلان خرجت أريد بني فلان، فعرض لي قوم[1] قريباً منك، فأخذوا ما كان معي، فاركب معي حتى نستنقذه. فركب معه ولبس سلاحه ومضى معه، فلما أبعد عن منزله عطف عليه وقال: أنائم أنت أم يقظان؟ فقال: يقظان، [فقال]: أنا أبو ليلى وسيفي المعلوب، فألقى ابن الإطنابة سيفه، وقيل: رمحه، [و] قال: قد أعجلتني فأمهلني حتى آخذ سيفي، فقال: خذه، قال: أخاف أن تعجلني عن أخذه، قال: [لك ذمة ظالم لا أعجلك عن أخذه، قال:] فوذمة الإطنابة لا آخذه! فانصرف الحارث وهو يقول أبياتاً منها:

بلغتنا مقالة المرء عمرٍو ... فالتقينا وكان ذاك بديا
فهممنا بقتله إذ برزنا ... ووجدناه ذا سلاح كميا
غير ما نائمٍ يروّع بالفتـ ... ـك ولكن مقلداً[2] مشرفيا
فمننا عليه بعد علوٍ ... بوفاءٍ وكنت قدماً وفيا[2]

ثم إنّ الحارث لما علم أنّ النعمان قد جد في طلبه وهوازن لا تقعد عن الطلب بثأر خالد، خرج متنكراً إلى الشام، واستجار بيزيد بن عمرو، فأكرمه وأجاره، وكان ليزيد/ ناقة محماة في عنقها مديةٌ وزناد وملح ليمتحن بذلك رعيته، فوحمت زوجة الحارث واشتهت شحماً ولحماً، فأخذ الحارث الناقة فأدخلها شعباً فذبحها وحمل إلى امرأته من شحمها ولحمها ورفع منه، وفقدت الناقة فطلبت فوجدت عقيرة بالوادي، فأرسل الملك إلى كاهن فسأله عنها، فذكر له أن الحارث نحرها، فأرسل امرأة بطيب تشتري من لحمها من امرأة الحارث، فأدركها الحارث وقد اشترت اللحم، فقتلها ودفنها في البيت. فسأل الملك الكاهن عن المرأة، فقال: قتلها من نحر الناقة، وإذا كرهت أن تفتش بيته فتأمر الرجل بالرحيل، فإذا رحل فتشت بيته، ففعل ذلك.

ج١/٣٤٢/ط

(١) ذكره الأصفهاني في «الأغاني» (١١/ ١٢١).
(٢) ذكره الأصفهاني في «الأغاني» (١١/ ١٢٢، ١٢٣).

(1) في المخطوطة: قوماً.
(2) في المخطوطة: مقلد.

فلما رحل الحارث فتش الكاهن بيته فوجد المرأة، وأحس الحارث بالشر، فعاد إلى الكاهن فقتله، فأخذ الحارث وأحضر عند الملك، فأمر بقتله، فقال: [إنك] قد أجرتني فلا تغدر بي، فقال: إن غدرت بك مرة واحدة فقد غدرت بي مراراً، فقتله(١).

أيام داحس والغبراء وهي بين عبس وذبيان

وكان سبب ذلك: أنّ قيس بن زهير بن جذيمة(1) العبسي سار إلى المدينة ليتجهز لقتال عامر والأخذ بثأر أبيه، فأتى أحيحة بن الجلاح يشتري منه درعاً موصوفة(2)، فقال له: لا أبيعها، ولولا أن تذمني بنو عارم لوهبتها منك، ولكن اشترها بابن لبون. ففعل ذلك وأخذ الدرع، وتسمى: ذات الحواشي، ووهبه أحيحة أيضاً أدراعاً، وعاد إلى قومه وقد فرغ من جهازه، فاجتاز بالربيع بن زياد العبسي فدعاه إلى مساعدته على الأخذ بثأره، فأجابه إلى ذلك، فلما أراد فراقه نظر الربيع إلى عيبته، فقال: ما في حقيبتك؟ قال: متاع عجيب لو أبصرته لراعك، وأناخ راحلته، فأخرج الدرع من الحقيبة، فأبصرها الربيع فأعجبته ولبسها، فكانت في طوله، فمنعها من قيس ولم يعطه إياهما، وترددت الرسل بينهما(3) في ذلك، ولج قيس في طلبها، ولج الربيع في منعها(4)، فلما طالت الأيام على ذلك سيّر قيس أهله إلى مكة، وأقام ينتظر غرة الربيع(٢).

ثم إنّ الربيع سيّر إبله وأمواله إلى مرعى كثير الكلأ، وأمر أهله فظعنوا، لو ركب فرسه وسار إلى المنزل، فبلغ الخبر قيساً، فسار في أهله وإخوته فعارض ظعائن الربيع/ ، وأخذ زمام أمه/ فاطمة بنت الخرشب وزمام زوجته، فقالت فاطمة أم الربيع: ما تريد يا قيس؟ قال: أذهب بكن إلى مكة فأبيعكن بها بسبب درعي، قالت: (5وهي5) في ضماني وخل عنا، ففعل. فلما جاءت إلى ابنها قالت له في معنى الدرع، [فحلف أنه لا يرد الدرع]، فأرسلت إلى قيس أعلمته بما قال الربيع، فأغار على نعم الربيع، فاستاق منها أربعمائة بعير، وسار بها إلى مكة، فباعها، واشترى بها خيلاً، وتبعه الربيع فلم يلحقه، فكان فيما اشترى من الخيل داحس والغبراء.

ج١ ٣٤٣/ط

ج١ ٨٢/ب

(١) ذكره ابن عبد ربه في «العقد الفريد» (٥/ ١٥٠)، وذكره النويري في «نهاية الأرب» (١٥/ ٣٥٦).

(٢) ذكره النويري في «نهاية الأرب» (١٥/ ٣٥٦)، وذكره أبو الفداء في «المختصر في أخبار البشر» (١/ ٧٨)، وذكره البغدادي في «خزانة الأدب» (٣/ ٥٣٦)، وذكره الأصفهاني في «الأغاني» (١٧/ ١٨٧)، وذكره ابن قتيبة في «المعارف» (٦٠٦)، وذكره ياقوت الحموي في «معجم البلدان» (١/ ٢٠٥).

(1) في المخطوطة: حذيفة.

(2) في المخطوطة: صوفة.

(3) في المخطوطة: بينهم.

(4) في المخطوطة: طلبها.

(5-5) في المخطوطة: فهي.

وقيل: إنّ داحساً كان من خيل بني يربوع، وإنّ أباه كان أخذ فرساً لرجل من بني ضبة، يقال له: أنيف بن جبلة، وكان الفرس يسمى: السبط [و] كانت أم داحس لليربوعي، فطلب اليربوعي من الضبي [أن] ينزي فرسه على حجره، فلم يفعل.

فلما كان الليل عمد اليربوعي [إلى] فرس الضبي، فأخذه، فأنزاه على فرسه، فاستيقظ الضبي، فلم ير فرسه، فنادى في قومه، فأجابوه، وقد تعلق باليربوعي، فأخبرهم الخبر، فغضبت ضبة من ذلك، فقال لهم: لا تعجلوا، دونكم نطفة فرسكم فخذوها، فقال القوم: [قد أنصف، فسطا عليها رجل من القوم، فدس يده في رحمها، فأخذ ما فيها، فلم تزد الفرس إلا لقاحاً، فنتجت مهراً فسمي: داحساً بهذا السبب(١).

فكان عند اليربوعي ابنان له، وأغار قيس بن زهير على بني يربوع فنهب وسبى، ورأى الغلامين أحدهما على داحس، والآخر على الغبراء، فطلبهما فلم يلحقهما، فرجع وفي السبي أم الغلامين وأختان لهما وقد وقع داحس والغبراء في قلبه، وكان ذلك قبل أن يقع بينه وبين الربيع ما وقع، ثم جاء وفد بني يربوع في فداء الأسرى والسبي، فأطلق الجميع إلا أم الغلامين وأختيهما، وقال: إن أتاني الغلامان بالمهر والفرس الغبراء وإلا فلا، فامتنع الغلامان من ذلك، فقال شيخ من بني يربوع كان أسيراً عند قيس أبياتاً، وبعث بها إلى الغلامين، وهي:

إن مهراً فدا الرباب وحملاً ... وسعاداً لخير مهر أناس

ادفعوا داحساً بهن سراعاً ... إنها من فعالها الأكياس/ ج١/ ٣٤٤ط

دونها والذي يحج له الناس ... سبايا يبعن بالأفراس]

إن قيساً يرى الجواد من الخيـ ... ـل حياةً في متلف الأنفاس

يشتري الطرف بالجراجرة(٢) الجـ ... ـلة يعطي عفواً بغير مكاس

فلما انتهت الأبيات إلى بني يربوع قادوا الفرسين إلى قيس وأخذوا النساء، وقيل: إنّ قيساً أنزى داحساً على فرس له، فجاءت بمهرة فسماها: الغبراء، ثم إنّ قيساً أقام بمكة فكان أهلها يفاخرونه، وكان فخوراً، فقال لهم: نحوا كعبتكم عنا وحرمكم، وهاتوا ما شئتم؛ فقال له عبد الله بن جدعان: إذا لم نفاخرك بالبيت المعمور وبالحرم الآمن، فبم(1)

(١) ذكره الأصفهاني في «الأغاني» (١٧/ ١٨٨).
(٢) الجراجرة: إبل كثير الصوت.

(1) في المخطوطة: فيمن.

نفاخرك؟ [فملّ قيس مفاخرتهم، وعزم على الرحلة عنهم، وسر ذلك قريشاً؛ لأنهم قد كانوا كرهوا مفاخرته، فقال لإخوته: ارحلوا بنا من عندهم أولاً، وإلا تفاقم الشر بيننا وبينهم، والحقوا ببني بدر، فإنهم أكفاؤنا في الحسب، وبنو عمنا في النسب، وأشراف قومنا في الكرم، ومن لا يستطيع الربيع أن يتناولنا معهم، فلحق قيس وأخوته ببني بدر، وقال في مسيره إليهم:

أسير إلى بني بدرٍ بأمرٍ ... هم فيه علينا بالخيار
فإن قبلوا الجوار فخير قومٍ ... وإن كرهوا الجوار فغير عار
أتينا الحارث الخير بن كعبٍ ... بنجران وأي لجا بجار
فجاورنا الذين إذا أتاهم ... غريب حل في سعة القرار
فيأمن فيهم ويكون منهم ... بمنزلة الشعار من الدثار
وإن نفرد بحرب بني أبينا ... بلا جار فإن الله جاري

ثم نزل ببني بدر، فنزل بحذيفة، فأجاره هو وأخوه حمل بن بدر، وأقام فيهم وكان معه أفراس له ولإخوته لم يكن في العرب مثلها، وكان حذيفة يغدو ويروح إلى قيس، فينظر إلى خيله يحسده عليها، ويكتم ذلك في نفسه، وأقام قيس فيهم زماناً يكرمونه وإخوته، فغضب الربيع ونقم ذلك عليهم، وبعث إليهم بهذه الأبيات:

ألا أبلغ بني بدرٍ رسولاً ... على ما كان من شنأ ووتر[1]
بأني لم أزل لكم صديقاً ... أدافع عن فزارة كل أمر/ ج١/٣٤٥ط
أسالم سلمكم وأرد عنكم ... فوارس أهل نجران وحجر
وكان أبي ابن عمكم زياد ... صفي أبيكم بدر بن عمرو
فألجأتم أخا الغدرات قيساً ... فقد أفعمتم إيغار صدري
فحسبي من حذيفة ضم قيس ... وكان البدء من حمل بن بدر
فإما ترجعوا أرجع إليكم ... وإن تأبوا فقد أوسعت عذري

فلم يتغيروا عن جوار قيس. فغضب الربيع وغضبت عبس لغضبه، ثم إنَّ حذيفة كره قيساً وأراد إخراجه عنهم فلم يجد حجةً، وعزم قيس على العمرة، فقال لأصحابه: إني قد عزمت على العمرة فإياكم أن تلابسوا حذيفة بشيء، واحتملوا كل ما يكون منه حتى أرجع، فإني قد عرفت الشرّ في وجهه وليس يقدر على حاجته منكم إلا أن تراهنوه على الخيل. وكان ذا رأي لا يخطىء فيما يريده، وسار إلى مكة.

(١) وتر: أي عداوة وانتقام.

ثم إنّ فتىً من عبس، يقال له: ورد بن مالك، أتى حذيفة فجلس إليه، فقال له ورد: لو اتخذت من خيل قيس فحلاً يكون أصلاً لخيلك، فقال حذيفة: خيلي خير من خيل قيس، ولجّا في ذلك إلى أن تراهنا على فرسين من خيل قيس وفرسين من خيل حذيفة، والرهن عشرة أذواد، وسار ورد فقدم على قيس بمكة فأعلمه الحال، فقال له: أراك قد أوقعتني في بني بدر ووقعت معي وحذيفة ظلوم لا تطيب نفسه بحق، ونحن لا نقر له بضيم؛ ورجع قيس من العمرة، فجمع قومه وركب إلى حذيفة، وسأله أن يفك الرهن، فلم يفعل. فسأله جماعة فزارة وعبس، فلم يجب إلى ذلك، وقال: إن أقرّ قيس أنّ السبق لي وإلا فلا، فقال أبو جعدة الفزاري:

آل بـــدرٍ دعـــوا الـــرهـــان فـــإنـــا ... قـد مـلـلـنـا الـلـجـاج عـنـد الـرهـان
ودعـــوا الـــمـــرء فـــي فـــزارة جـــاراً ... إن مـــا غـــاب عـــنـــكـــم كـــالـــعـــيـــان
لـيـت شـعـري عـن هـاشـم وحـصـيـن ... وابـــن عـــوفٍ وحـــارثٍ وســـنـــان
حـيـن يـأتـيـهـم لـجـاجـك قـيـسـاً ... وأي صـــاحٍ أتـــيـــت أم نـــشـــوان

وسأل حذيفة إخوته وسادات أصحابه في ترك الرهان ولج فيه، وقال قيس: علام تراهنني؟ قال: على فرسيك داحس والغبراء وفرسيّ الخطار والحنفاء، وقيل: كان الرهن على فرسي داحس والغبراء، قال قيس: داحس أسرع، وقال حذيفة: الغبراء أسرع، وقال لقيس: أريد أن أعلمك أن بصري بالخيل أثقب من بصرك، والأول أصح؛ فقال له قيس: نفس في الغاية وأرفع في السبق؛ فقال حذيفة: الغاية من أبلى إلى ذات الإصاد[1]، وهو قدر/ مائة وعشرين غلوةً، والسبق مائة بعير، وضمروا الخيل. ج١/٣٤٦/ط

فلما فرغوا قادوا الخيل إلى الغاية، وحشدوا ولبسوا السلاح، وتركوا السبق على يد عقال بن مروان بن الحكم القيسي، وأعدوا الأُمناء على إرسال الخيل؛ وأقام حذيفة رجلاً من بني أسد في الطريق، وأمره أن يلقى داحساً في وادي ذات الإصاد إن مرَّ به سابقاً فيرمي به إلى أسفل الوادي، فلما أرسلت الخيل سبقها داحس سبقاً بيّناً، والناس ينظرون إليه، وقيس وحذيفة على رأس الغاية في جميع قومهما. فلما هبط داحس في الوادي عارضه الأسدي، فلطم وجهه فألقاه في الماء، فكاد يغرق هو وراكبه، ولم يخرج إلا وقد فاتته الخيل. وأما راكب الغبراء فإنه خالف طريق داحس لما رآه قد أبطأ، وعاد إلى الطريق واجتمع مع فرسي حذيفة، ثم سقطت الحنفاء وبقي الغبراء والخطار، فكانا إذا

(١) الأصاد: اسم ماء.

أحزنا سبق الخطار، وإذا أسهلا سبقت الغبراء.

فلما قربا من الناس وهما في وعث من الأرض تقدم الخطار، فقال حذيفة: سبقتك يا قيس، فقال: «رويدك يعلونّ الجدد»، فذهبت مثلاً.

فلما استوت بهما الأرض قال حذيفة: خدع والله صاحبنا، فقال قيس: «ترك الخداع من أجرى من مائة وعشرين». فذهبت مثلاً.

ثم إن الغبراء جاءت سابقة، وتبعها الخطار فرس حذيفة، ثم الحنفاء له أيضاً، ثم جاء داحس بعد ذلك والغلام يسير به على رسله، فأخبر الغلام قيساً بما صنع بفرسه، فأنكر حذيفة ذلك وادعى السبق ظلماً، وقال: جاء فرساي متتابعتين، ومضى قيس وأصحابه حتى نظروا إلى القوم الذين حبسوا داحساً واختلفوا؛ وبلغ الربيع بن زياد خبرهم فسرّه ذلك وقال لأصحابه: هلك والله قيس، وكأني به إن لم يقتله حذيفة وقد أتاكم يطلب منكم الجوار، أما والله لئن فعل ما لنا من ضمه من بد.

ثم إن الأسدي ندم على حبس داحس، فجاء إلى قيس واعترف بما صنع، فسبّه حذيفة. ثم إن بني بدر قصروا بقيس وإخوته وآذوهم بالكلام، فعاتبهم قيس، فلم يزدادوا إلا بغياً عليه وإيذاءً له.

ثم إن قيساً وحذيفة تناكرا في السبق حتى همّا بالمؤاخذة، فمنعهما الناس، وظهر
لهم بغي حذيفة وظلمه، ولجَّ في/ طلب السبق، فأرسل ابنه ندبة إلى قيس يطالبه به، فلما ج١ ٣٤٧/ط
أبلغه الرسالة طعنه فقتله، وعادت فرسه إلى أبيه، ونادى قيس: يا بني عبس الرحيل! فرحلوا كلهم، ولما أتت الفرس حذيفة علم أن ولده قتل، فصاح في الناس وركب فيمن معه، وأتى منازل بني عبس فرآها خاليةً، ورأى ابنه قتيلاً، فنزل إليه وقبَّل بين عينيه ودفنوه؛ وكان مالك بن زهير أخو قيس متزوجاً في فزارة وهو نازلٌ فيهم، فأرسل إليهم قيس: إني قد قتلت ندبة بن حذيفة ورحلت، فالحق بنا وإلا قتلت؛ فقال: إنما ذنب قيس عليه، ولم يرحل، فأرسل قيس إلى الربيع بن زياد يطلب منه العود إليه والمقام معه، إذ هم عشيرة وأهل، فلم يجبه ولم يمنعه، وكان مفكراً في ذلك.

ثم إن بني بدر قتلوا مالك بن زهير أخا قيس، وكان نازلاً فيهم، فبلغ مقتله بني عبس والربيع بن زياد، فاشتد ذلك عليهم، وأرسل الربيع إلى قيس عيناً يأتيه بخبره، فسمعه يقول:

أينجو بنو بدرٍ بمقتل مالك ويخذلنا في النائبات ربيع
وكان زياد قبله يتقى به من الدهر إن يومٌ ألم فظيع
فقل لربيعٍ يحتذي فعل شيخه وما الناس إلا حافظٌ ومضيع
وإلا فما لي في البلاد إقامةٌ وأمر بني بدرٍ عليّ جميع

فرجع الرجل إلى الربيع فأخبره، فبكى الربيع على مالك وقال:

منع الرقاد فما أغمض ساعةً جزعاً من الخبر العظيم الساري
أفبعد مقتل مالك لمضيعة يرجو النساء عواقب الأطهار
من كان محزوناً بمقتل مالكٍ فليأت نسوتنا بوجه نهار]
يجد النساء حواسراً يندبنه ويقمن قبل تبلج الأسحار
يضربن حُرّ وجوههن على فتىً ضخم الدسيعة غير ما خوّار
قد كن يكننّ الوجوه تستراً فاليوم حين برزن للنظار

وهي طويلة[1]. فسمعها قيس، فركب هو وأهله، وقصدوا الربيع بن زياد، وهو يصلح سلاحه، فنزل إليه قيس، وقام الربيع فاعتنقا وبكيا وأظهرا الجزع لمصاب مالك، ولقي القوم بعضهم بعضاً فنزلوا. فقال قيس للربيع: إنه لم يهرب منك من لجأ إليك[1]، ولم يستغن عنك من استعان بك، وقد كان لك شر يوميّ، فليكن لي خير يوميك، وإنما أنا بقومي وقومي بك، وقد أصاب القوم مالكاً، ولست أهم بسوء؛ لأني إن حاربت بني بدر نصرتهم بنو ذبيان، وإن حاربتني/ خذلني بنو عبس، إلا أن تجمعهم عليّ، وأنا والقوم في الدماء سواءٌ، قتلت ابنهم وقتلوا أخي، فإن نصرتني طمعت فيهم، وإن خذلتني طمعوا فيّ. فقال الربيع: يا قيس إنه لا ينفعني أن أرى لك من الفضل ما لا أراه لي، ولا ينفعك أن ترى لي ما لا أراه لك، وقد مال عليّ[2] قتل مالك وأنت ظالم ومظلوم، ظلموك في جوادك، وظلمتهم في دمائهم، وقتلوا أخاك بابنهم، فإن يبؤ الدم بالدم فعسى أن تلقح الحرب أقم معك، وأحب الأمرين إليّ مسالمتهم، ونخلو بحرب هوازن؛ وبعث قيس إلى أهله وأصحابه، فجاؤوا ونزلوا مع الربيع، وأنشدهم عنترة بن شداد مرثيته في مالك:

فللّه عينا من رأى مثل مالكٍ عقيرة قومٍ أن جرى فرسان

ج١/٣٤٨/ط

(١) ذكره الأصفهاني في «الأغاني» (١٧/١٩٦)، وذكره أبو تمام في «ديوان الحماسة» (١/٢٩٨)، وانظر «نقائض الفرزدق» (٨٩).

(1) في المخطوطة: عليك. (2) في المخطوطة: إلى.

فليتهما لم يطعما الدهر بعدها ... وليتهما لم يجمعا لرهان
وليتهما ماتا[1] جميعاً ببلدة ... وأخطاهما قيسٌ فلا يريان
لقد جلبا جلباً لمصرع مالكٍ ... وكان كريماً ماجداً لهجان
وكان إذا ما كان يوم كريهةٍ[2] ... فقد علموا أني وهو فتيان
وكنا[3] لدى الهيجاء نحمي نساءنا ... ونضرب عند الكرب كل بنان
فسوف ترى إن كنت بعدك باقياً ... وأمكنني دهري/ وطول زماني ج١/٨٣أ
فأقسم حقاً لو بقيت لنظرة ... لقرت بها العينان حين تراني[1]

وبلغ حذيفة أن الربيع وقيساً اتفقا، فشق ذلك عليه واستعد للبلاء، وقيل: إن بلاد عبس كانت قد أجدبت، فانتجع أهلها بلاد فزارة، وأخذ الربيع جواراً من حذيفة وأقام عندهم، فلما بلغه مقتل مالك قال لحذيفة: لي ذمتي ثلاثة أيام، فقال حذيفة: ذلك لك. فانتقل الربيع من بني فزارة؛ فبلغ ذلك حمل بن بدر، فقال لحذيفة أخيه: بئس الرأي رأيت! قتلت مالكاً وخليت سبيل الربيع! والله ليضرمنها عليك ناراً! فركبا في طلب الربيع، ففاتهما، فعلما أنه قد أضمر الشرّ، واتفق الربيع وقيس، وجمع حذيفة قومه، وتعاقدوا على عبس، وجمع/ الربيع وقيس قومهما واستعدوا للحرب، فأغارت فزارة على بني عبس، فأصابوا نعماً ورجالاً، فحميت عبس واجتمعت للغارة، فنذرت بهم فزارة. فخرجوا إليهم فالتقوا على ماء يقال له: العذق[٢]، وهي أول وقعة كانت بينهم، فاقتتلوا قتالاً شديداً، وقُتل عوف بن يزيد، قتله جندب بن خلف العبسي. وانهزمت فزارة وقتلوا قتلاً ذريعاً، وأسر الربيع بن زياد، حذيفة بن بدر، وكان حرّ بن الحارث العبسي قد نذر إن قدر على حذيفة أن يضربه بالسيف، [وله سيف قاطع يسمى: الأصرم، فأراد ضربه بالسيف] لمّا أُسر وفاء بنذره، فأرسل الربيع إلى امرأته فغيبت[4] سيفه ونهوه عن قتله وحذروه عاقبة ذلك، فأبى إلا ضربه، فوضعوا عليه الرجال، فضربه، فلم يصنع السيف شيئاً، وبقي حذيفة أسيراً. ج١/٣٤٩ط

فاجتمعت غطفان وسعوا في الصلح، فاصطلحوا على أن يهدروا دم بدر بن حذيفة بدم مالك بن زهير، ويعقلوا عوف بن بدر، ويعطوا[5] حذيفة عن ضربته التي ضربه حرّ

(١) ذكره الأصفهاني في «الأغاني» (١٧/٢٠١)، وذكره ابن عبد ربه في «العقد الفريد» (٥/١٥٢)، وذكره النويري في «نهاية الأرب» (١٥/٣٥٨).
(٢) العذق: موضع بناحية عمان.

(1) في المخطوطة: مالا.
(2) في المخطوطة: كره.
(3) في المخطوطة: كان.
(4) في المخطوطة: فغيرت.
(5) في المخطوطة: يعطى.

مائتين من الإبل، وأن يجعلوها عشاراً[1] كلها، وأربعة أعبدٍ، وأهدر حذيفة دماء من قتل من فزارة في الوقعة وأطلق من الأسر.

فلما رجع إلى قومه ندم على ذلك، وساءت مقالته في بني عبس، وركب قيس بن زهير وعمارة بن زياد، فمضيا إلى حذيفة وتحدثا معه؛ فأجابهما إلى الاتفاق، وأن يرد عليهما الإبل التي أخذ منهما، وكانت توالدت[1] عنده. فبينما هم في ذلك إذ جاءهم سنان بن أبي حارثة المري، فقبح رأي[2] حذيفة في الصلح، وقال: إن كنت لا بد فاعلاً فأعطهم إبلاً عجافاً مكان إبلهم، واحبس[3] أولادها. فوافق ذلك رأي حذيفة، فأبى قيس وعمارة ذلك. وقيل: إن الإبل التي طلبوها منه هي إبل كان قد أخذها سبقاً من قيس، وقيل أيضاً: إن مالك بن زهير قتل بعد هذه الوقعة المذكورة.

قال حميد بن بدر في ذلك:

قتلنا بعوفٍ مالكاً وهو ثأرنا ومن يبتدع شيئاً سوى الحق يظلم

وجعل سنان يحث حذيفة على الحرب، فتيسَّروا لها. ثم إن الأنصار بلغهم ما عزموا عليه، فاتفق جماعةٌ من رؤسائهم، وهم: عمرو بن الإطنابة، ومالك بن عجلان، وأحيحة بن الجلاح، وقيس بن الخطيم، وغيرهم، وساروا ليصلحوا بينهم، [فوصلوا إليهم] وترددوا في الاتفاق، فلم يجب حذيفة إلى ذلك وظهر لهم بغيه، فحذروه عاقبته، وعادوا عنه، وأغار حذيفة على عبس، وأغارت عبس على فزارة، وتفاقم الشر، وأرسل حذيفة أخاه حملاً فأغار وأسر ريان بن الأسلع بن سفيان وشده وثاقاً، وحمله إلى حذيفة، فأطلقه ليرهنه ابنيه وجبير ابن أخيه عمرو بن الأسلع، ففعل ريان ذلك.

ج١/٣٥٠/ط ثم سار قيس إلى فزارة فلقي منهم/ جمعاً! فيهم مالك بن بدر، فقتله قيس وانهزم فزارة، فأخذ حينئذٍ حذيفة ولدي ريان فقتلهما وهما يستغيثان: يا أبتاه! حتى ماتا، وأما ابن أخيه فمنعه أخواله.

ولما قتل مالك والغلامان، اشتدت الحرب بين الفريقين وأكثرها في فزارة ومن

(١) العشار: التي أتى على حملها عشرة أشهر من ملقحها.

(1) في المخطوطة: قد توالدت.
(2) في المخطوطة: فرأى.
(3) في المخطوطة: احبسوا.

معها، ففي بعض الأيام التقوا واقتتلوا قتالاً شديداً، دامت الحرب بينهم إلى آخر النهار، وأبصر ريان بن الأسلع زيد بن حذيفة فحمل عليه فقتله، وانهزمت فزارة وذبيان، وأدرك الحارث بن بدر فقتل، ورجعت عبس سالمةً لم يصب منها أحدٌ. فلما قتل زيد والحارث، جمع حذيفة جميع بني ذبيان، وبعث إلى أشجع وأسد بن خزيمة فجمعهم، فبلغ ذلك بني عبس فضموا أطرافهم، وأشار قيس بن زهير بالسبق إلى ماء العقيقة، ففعلوا ذلك، وسار حذيفة في جموعه إلى عبس، ومشى السفراء بينهم، فحلف حذيفة: أنه لا يصلح حتى يشرب من ماء العقيقة.

فأرسل إليه قيس منه في سقاء، وقال: لا أترك حذيفة يخدعني. واصطلحوا على أن تعطي بنو عبس حذيفة ديات من قتل له، ووضعوا الرهائن عنده إلى أن يجمعوا الديات، وهي عشر، وكانت الرهائن: ابناً لقيس بن زهير، وابناً للربيع بن زياد، فوضعوا أحدهما عند قطبة بن سنان، [والآخر عند رجل من بكر بن وائل أعمى؛ فعير بعض الناس حذيفة بقبول الدية، فحضر هو وأخوه حمل عند قطبة بن سنان] والبكري، وقال: ادفعا إلينا [الغلامين لنكسوهما ونسرحهما إلى أهلهما؛ فأما قطبة فدفع إليهما الغلام الذي عنده، وهو ابن قيس،] وأما البكري فامتنع من تسليم من عنده، فلما أخذا ابن قيس عادا فلقيا في الطريق ابناً لعمارة بن زياد العبسي وابن عم له، فأخذاهما وقتلاهما مع ابن قيس.

فلما بلغ ذلك/ بني عبس أخذوا ما كانوا جمعوا من الديات، فحملوا عليه الرجال ج١/٨٣/ب واشتروا السلاح؛ ثم خرج قيس في جماعة فلقوا ابناً لحذيفة، ومعه فوارس من ذبيان فقتلوهم؛ فجمع حذيفة وسار إلى عبس، وهم على ماء يقال له: عراعر[1]، فاقتتلوا، فكان الظفر لفزارة ورجعت سالمة. وجدّ حذيفة في الحرب، وكرهها أخوه حمل وندم على ما كان، وقال لأخيه في الصلح، فلم يجب إلى ذلك، وجمع الجموع من أسد وذبيان وسائر بطون غطفان، وسار نحو بني عبس، فاجتمعت عبس وتشاوروا في أمرهم، فقال لهم قيس بن زهير: إنه قد جاءكم ما لا قبل لكم به، وليس لبني بدر إلا دماؤكم والزيادة عليكم، وأما من سواهم فلا يريدون غير الأموال والغنيمة، والرأي أننا نترك الأموال بمكانها، ونترك معها فارسين على داحس، وعلى فرس آخر جوادٍ، ونرحل نحن ونكون على مرحلة من المال،/ فإذا جاء القوم إلى الأموال سار إلينا الفارسان، فأعلمانا ج١/٣٥١/ط وصولهم، فإن القوم يشتغلون بالنهب وحيازة الأموال، وإن نهاهم ذوو الرأي عن ذلك،

(١) عراعر: اسم ماء ملح لبني عميرة.

فإن العامة تخالفهم وتنتقض تعبيتهم، ويشتغل كل إنسان بحفظ ما غنم، ويعلقون أسلحتهم على ظهور الإبل ويأمنون؛ فنعود نحن إليهم عند وصول الفارسين، فندركهم، وهم على حال تفرقٍ وتشتتٍ، فلا يكون لأحدهم همة إلا نفسه؛ ففعلوا ذلك، وجاء حذيفة ومن معه فاشتغلوا بالنهب، فنهاهم حذيفة وغيره فلم يقبلوا منه، وكانوا على الحال التي وصف قيس.

وعادت بنو عبس، وقد تفرقت أسد وغيرهم، وبقي بنو فزارة في آخر الناس، فحملوا عليهم من جوانبهم، فقتل مالك بن سبيع التغلبي سيد غطفان، وانهزمت فزارة وحذيفة معهم، وانفرد في خمسة فوارس وجدّ في الهرب، وبلغ خبره بني عبس، فتبعه قيس بن زهير والربيع بن زياد وقرواش بن عمرو بن الأسلع وريان بن الأسلع الذي قتل حذيفة ابنيه، وتبعوا أثرهم في الليل، وقال قيس: كأني بالقوم وقد وردوا جفر الهباءة ونزلوا فيه، فساروا ليلتهم كلها حتى أدركوهم مع طلوع الشمس في جفر الهباءة في الماء وقد أرسلوا خيولهم فأخذوا بجمعها، فحال قيس وأصحابه بينهم وبينها، وكان مع حذيفة في الجفر أخوه حمل بن بدر وابنه حصن بن حذيفة وغيرهم.

فهجم عليهم قيس والربيع ومن معهما وهم ينادون: لبيكم لبيكم! يعني: أنهم يجيبون نداء الصبيان لما قتلوا ينادون: يا أبتاه! فقال لهم قيس: يا بني بكر كيف رأيتم عاقبة البغي؟ فناشدوهم الله [والرحم]، فلم يقبلوا منهم.

ودار قرواش بن عمرو حتى وقف خلف ظهر حذيفة، فضربه فدقَّ صلبه، وكان قرواش قد ربَّاه حذيفة حتى كبر عنده في بيته، وقتلوا حملاً أخاه، وقطعوا رأسيهما، واستبقوا حصن/ بن حذيفة لصباه، وكان عدد من قتل في هذه الوقعة من فزارة وأسد وغطفان ما يزيد على أربعمائة قتيل، وقتل من عبس ما يزيد على عشرين قتيلاً، وكانت فزارة تسمى هذه الوقعة: البوار، وقال قيس بن زهير: ج١/٣٥٢/ط

أقام على الهباءة[1] خير ميتٍ ... وأكرمه حذيفة لا يريم
لقد فجعت به قيسٌ جميعاً ... موالي القوم والقوم الصميم
وعمّ به لمقتله بعيدٌ ... وخص به لمقتله حميم

وهي طويلة، وقال أيضاً:

(١) الهباءة: اسم بئر.

ألـم تـر أن خـيـر الـنـاس أمـسـى عـلـى جـفـر الـهـبـاءة لا يـريـم
فـلـولا ظـلـمـه مـا زلـت أبـكـي عـلـيـه الـدهـر مـا طـلـع الـنـجـوم
ولـكـن الـفـتـى حـمـل بـن بـدر بـغـى والـبـغـي مـرتـعـه وخـيـم[1]

وأكثروا القول في يوم الهباءة. ثم إن عبساً ندمت على ما فعلت يوم الهباءة، ولام بعضهم بعضاً، فاجتمعت فزارة إلى سنان بن [أبي] حارثة المري، وشكوا إليه ما نزل بهم، فأعظمه وذم عبساً، وعزم على أن يجمع العرب ويأخذ بثأر بني بدر وفزارة، وبث رسله؛ فاجتمع من العرب خلقٌ كثيرٌ لا يحصون، ونهى أصحابه عن التعرض إلى الأموال والغنيمة وأمرهم بالصبر، وساروا إلى بني عبس. فلما بلغهم مسيرهم إليهم قال قيس: الرأي أننا لا نلقاهم، فإننا قد وترناهم فهم يطالبوننا بالذحول والطوائل، وقد رأوا ما نالهم بالأمس باشتغالهم بالنهب والمال[1]، فهم لا يتعرضون إليه الآن، والذي ينبغي أن نفعله أننا نرسل الظعائن والأموال إلى بني عامر، فإن الدم لنا قبلهم، فهم لا يتعرضون لكم، ويبقى أولو القوة والجلد على ظهور الخيل، ونماطلهم القتال، فإن أبوا إلا القتال كنا قد أحرزنا أهلينا وأموالنا، وقاتلناهم وصبرنا لهم، فإن ظفرنا فهو الذي نريد، وإن كانت الأخرى كنا قد احترزنا ولحقنا بأموالنا ونحن/ على حامية، ففعلوا ذلك، وسارت ذبيان ومن معها فلحقوا بني عبس على ذات الجراجر[2]، فاقتتلوا قتالاً [شديداً] يومهم ذلك وافترقوا. ج١/١/٨٤

فلما كان الغد عادوا إلى اللقاء فاقتتلوا أشد من اليوم الأول، وظهرت في هذه الأيام شجاعة عنترة بن شداد؛ فلما رأى الناس شدة القتال وكثرة القتلى لاموا سنان بن أبي/ حارثة على منعه حذيفة عن الصلح، وتطيروا منه، وأشاروا عليه بحقن الدماء ومراجعة السلم، فلم يفعل، وأراد مراجعة الحرب في اليوم الثالث. فلما رأى فتور أصحابه وركونهم إلى السلم[2] رحل عائداً. فلما عاد عنهم رحل قيس وبنو عبس إلى بني شيبان بن بكر وجاوروهم وبقوا معهم مدةً، فرأى قيس من غلمان شيبان ما يكرهه من التعرض لأخذ أموالهم فرحلوا عنهم، فتبعهم جمع من شيبان، فلقيتهم بنو عبس واقتتلوا، فانهزمت شيبان، وسارت عبس إلى هجر ليحالفوا ملكهم، وهو معاوية بن الحارث الكندي، فعزم معاوية على الغارة عليهم ليلاً، فبلغهم الخبر فساروا عنه مجدين، وسار معاوية مجداً في ج١/ب/٣٥٣

(١) ذكره ياقوت الحموي في «معجم البلدان» (٥/ ٣٨٩)، وذكره الأصفهاني في «الأغاني» (١٧/ ٢٠٦).
(٢) الجراجر: عيون فيها نخل لقريش وهو واد لجهينة.

(1) في المخطوطة: الأموال.
(2) في المخطوطة: الصلح.

أثرهم، فتاه بهم الدليل على عمدٍ لئلا يدركوا عبساً إلا وهم قد لحقهم ودوابّهم النصب، فأدركوهم بالفروق[١] فاقتتلوا قتالاً شديداً، فانهزم معاوية وأهل هجر، وتبعتهم عبس، فأخذت من أموالهم، وقتلوا منهم ما أرادوا ورجعوا سائرين، فنزلوا بماء يقال له: عرعر[(1)] عليه حيّ من كلب، فركبوا ليقاتلوا بني عبس، فبرز الربيع وطلب رئيسهم، فبرز إليه، واسمه: مسعود بن مصاد. فاقتتلا حتى سقطا إلى الأرض، وأراد مسعود قتل الربيع، فانحسرت البيضة عن رقبته، فرماه رجل من بني عبس بسهم فقتله، فثار به الربيع فقطع رأسه، وحملت عبس على كلب والرأس على رمح، فانهزمت كلب، وغنمت عبس أموالهم وذراريهم، فساروا إلى اليمامة فحالفوا أهلها من بني حنيفة، وأقاموا ثلاث سنين، فلم يحسنوا جوارهم، وضيَّقوا عليهم فساروا عنهم، وقد تفرق كثير منهم وقتل منهم، وهلكت دوابهم، ووترهم العرب، فراسلتهم بنو ضبة وعرضوا عليهم المقام عندهم ليستعينوا بهم على حرب تميم، ففعلوا وجاوروهم[٢].

فلما انقضى الأمر بين ضبة وتميم تغيرت ضبة لعبسٍ، وأرادوا اقتطاعهم، فحاربتهم عبس فظفرت، [(2)وغنمت(2)] من أموال ضبة، وسارت إلى بني عامر، وحالفوا الأحوص بن جعفر بن كلاب، فسر بهم ليقوى بهم على حرب بني تميم[(3)]؛ لأنه كان بلغه أن لقيط بن زرارة يريد غزو بني عامر والأخذ بثأر أخيه معبد، فأقامت عبس عند بني عامر، فقصدتهم تميم، وكانت وقعة شعب جبلة، وسنذكره إن شاء الله[(4)].

ثم إن ذبيان غزوا بني عامر بن صعصعة، وفيهم بنو عبس فاقتتلوا، فهزمت عامر، وأسر [قرواش بن هني] العبسي ولم يعرف؛ فلما قدموا به الحيّ عرفته امرأةٌ منهم، فلما عرفوه سلموه إلى حصن[(5)] بن حذيفة فقتله؛ ثم رحلت عبس عن عامر ونزلت بتيم الرباب، فبغت تيم عليهم، فاقتتلوا قتالاً شديداً، وتكاثرت عليهم تيم، فقتلوا من عبس مقتلة عظيمة. ورحلت عبس وقد ملوا الحرب، وقلَّت الرجال والأموال وهلكت المواشي، فقال لهم/ قيس: ما ترون؟ قالوا: نرجع إلى إخواننا من ذبيان، فالموت معهم خير من البقاء مع غيرهم؛ فساروا حتى قدموا على الحارث بن عوف بن أبي حارثة المري. ج١/٣٥٤ط

(١) الفروق: هي عقبة بين هجر ومهب الشمال.

(٢) ذكره ابن عبد ربه في «العقد الفريد» (٥/ ١٥٨)، وذكره النويري في «نهاية الأرب» (١٥/ ٣٦٢).

(1) في المخطوطة: عرض.

(2-2) في المخطوطة: فأغنمت.

(3) في المخطوطة: تميم وكانت وقعة شعب جبله.

(4) في المخطوطة: الله تعالى.

(5) في المخطوطة: حصين.

وقيل: على هرم بن سنان بن أبي حارثة ليلاً، وكان عند حصن[1] بن[2] حذيفة [بن بدر]. فلما عاد ورآهم رحب بهم، وقال[3]: من القوم؟ قالوا: إخوانك بنو عبس، وذكروا حاجتهم، فقال: نَعم وكرامة أعلم حصن[4] بن حذيفة. فعاد[5] إليه، [6]وقال:[6] طرقت في حاجة، قال: أعطيتها، قال بنو عبس: وجدت وفودهم في منزلي، قال حصن[7]: صالحوا قومكم، أما أنا فلا أدي ولا أَتَّدي، قد قتل آبائي وعمومتي عشرين من عبس، فعاد إلى عبس وأخبرهم بقول حصن[8] وأخذهم إليه، فلما رآهم قال[9] قيس والربيع بن زياد: نحن ركبان الموت، قال: بل ركبان السلم، إن تكونوا اختللتم إلى قومكم، [فقد اختل قومكم] إليكم؛ ثم خرج معهم حتى أتوا سناناً، فقال له: قم بأمر عشيرتك وأصلح بينهم فإني سأعينك. ففعل ذلك وتم الصلح بينهم وعادت عبس.

وقيل: [إن قيس] بن زهير لم يسر مع عبس إلى ذبيان، وقال: لا تراني غطفانية أبداً وقد قتلت أخاها أو زوجها أو ولدها أو ابن عمها، ولكني سأتوب إلى ربي، فتنصر وساح في الأرض حتى انتهى إلى عمان، فترهّب بها زماناً، فلقيه حوج بن مالك العبدي، فعرفه فقتله، وقال: لا رحمني الله إن رحمتك.

وقيل: إن قيساً تزوج في النمير بن قاسط لما عادت عبس إلى ذبيان، وولد له ولداً اسمه: فضالة، فقدم على النبي ﷺ، وعقد له على من معه من قومه، وكانوا تسعة وهو عاشرهم، انقضى حرب داحس والغبراء، والحمد لله[10].

يوم شعب جبلة

كان لقيط بن زرارة قد عزم على غزو [بني] عامر بن صعصعة/ للأخذ بثأر أخيه معبد بن زرارة، وقد ذكرنا موته عندهم أسيراً. فبينما هو يتجهز أتاه الخبر بحلف بني عبس وبني عامر، فلم يطمع في القوم، وأرسل إلى كل من كان بينه وبين عبس ذحل يسأله الحلف والتظافر على غزو عبس وعامر؛ فاجتمعت إليه أسد، وغطفان، وعمرو بن الجون، ومعاوية بن الجون، واستوثقوا واستكثروا وساروا، فعقد معاوية بن الجون الألوية، فكان بنو أسد وبنو فزارة بلواء مع معاوية بن الجون، وعقد لعمرو بن تميم مع حاجب بن

ج١/٨٤/ب

(1) في المخطوطة: حصين.
(2) في المخطوطة: بن أبي.
(3) في المخطوطة: قالوا.
(4) في المخطوطة: حسن.
(5) في المخطوطة: وعاد.
(6-6) في المخطوطة: فقال.
(7) في المخطوطة: حسن.
(8) في المخطوطة: حصين.
(9) في المخطوطة: قال له.
(10) في المخطوطة: لله تعالى.